

● قضايا ثقافية معاصرة- المحاضرة الثانية عشر
الدين والعلم

● تمهيد

- إن التاريخ يشهد بمساهمة الأديان في بناء الحياة الإنسانية، والتأثير في عقول الناس وقلوبهم وإقامة المجتمعات والحضارات،
- وفي غرس الفضائل والأخلاق ، وتكوين العادات الطيبة ، وتنظيم الحياة الإنسانية، وضبط حدود الحقوق والواجبات بين الناس
- سجل التاريخ ذلك في حياة الفراعنة واليونان والرومان والهنود والصينيين والبابليين والآشوريين، وهم يدينون بديانات وضعية فكيف بالأمم التي تدين بديانات سماوية بعث الرسل بها لخير البشرية جمعاء

● تعريف الدين وأهميته للإنسان والمجتمع:

1-تعريف الدين:

- في اللغة يعني الذل والطاعة والخضوع والانقياد لوضع معين،
- هذا الوضع إما أن يكون إلهيا أو غير إلهي،
- وفي الاصطلاح هناك من يرى أن الدين: (وضع إلهي يرشد إلى الحق في الاعتقادات وإلى الخير في السلوك والمعاملات)
- وهناك من ينتقد هذا التعريف، ويرى أن الدين أعم من أن يكون خاصا بالدين السماوي؛ وأنه يشمل كل الأديان، فهو (قوة سماوية أو وثنية ، مادية أو معنوية تُعَبِّد وتُسَيِّد وتطاع)
- ولا ريب أن التعريف الثاني أصح، فهو المنسجم مع معنى الدين في القرآن الكريم، فقد استعمل القرآن الكريم هذه المفردة مع الوثنية ديانة أهل مكة، وهي غير سماوية، واستعملها
- مع الإسلام وهو الدين السماوي الإلهي الحق في قوله تعالى: (لكم دينكم ولي دين)
- ووصف الله الإسلام بأنه الدين الحق الذي أظهره الله على جميع الأديان الباطلة سماوية كانت أم وضعية، قال تعالى: (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله)

2- أهمية الدين للإنسان والمجتمع :

• فالتدين تأتي أهميته للإنسان والمجتمع من النواحي التالية:

- أ- **أنه فطرة خلق عليها الإنسان** ، ينزع إليها ليشبع حاجة الروح إلى الإيمان بالمعبود ، ويستمد منها عقيدته ومفاهيمه للوجود والحياة ، ويضبط به أمور حياته .
- ب- **أنه ضرورة حيوية لاستكمال وجود الإنسان** ، واستقرار حياته ، وانتظام معيشتة ، يستمد منه القوة الدافعة إلى العمل ، ويتزود منه الصبر على مكاره الحياة ، والثبات في وجه تياراتها الهائجة ، وعواصفها القوية.
- ج - **أنه ضرورة اجتماعية يتم عن طريقها التأكيد على الإيمان بالقيم والفضائل** ، والالتزام بالأحكام والقوانين التي تعنى بتنظيم شؤون الحياة؛ فإنه إذا قُدر لمجتمع أن يضرب بسهم في مجال الالتزام بالمبادئ والقيم فلن يجد قوة أقوى من الدين تحمل أفرادها على التمسك بزمامها، وترد الشارد منهم ، وتتجه بهم جميعا نحو الكمال والمثالية.

• تعريف العلم وأهميته

1-تعريف العلم :

- **في اللغة** يعني اليقين والمعرفة والإدراك، **وهو نقيض الجهل**، وهو كما قال الراغب الأصفهاني: **(إدراك الشيء بحقيقته)**
- **أو هو:** الاعتقاد الجازم المطابق للواقع الناتج عن دليل؛
- **فإن لم يكن كذلك كان ظنا أو جهلا أو تقليدا، ويطلق على الصفة الراسخة التي يدرك بها الإنسان الكليات والجزئيات،**
- **ويقصد به:** مجموعة المعارف والحقائق التي وصلت إلى الإنسان عن طريق الوحي، أو توصل إليها من خلال تفكيره وملاحظاته وتجاربه طوال فترة حياته،
- **وقد وضع ابن خلدون هذين النوعين من العلوم وبين أنهما صنفان: صنف طبيعي للإنسان يقف عليه بفكره، ويهتدي إليه بمداركه، وصنف نقلي، يستند إلى الخبر عن الواضع الشرعي، لا مجال فيها للعقل إلا في إلحاق الفروع من مسائلها بالأصول.**

- إن العلم وفق هذين المعنيين تراث متراكم من المعارف والحقائق والمعلومات، يعنى بدراسة الجزئيات، ويتجه نحو العمق في المسائل والاهتمام بالتخصص العلمي،
- **و تنقسم هذه العلوم إلى قسمين:** الأول علوم دينية وإنسانية خاصة بأمة بعينها كعلوم الدين والأدب والتاريخ والاجتماع، والآخر علوم حسية تجريبية تطبيقية مشاعة ساهمت في إنشائها وتراكمها كل الأمم.
- **2- أهمية العلم:**
- **العلم ضروري للإنسان والمجتمع، وتأتي أهميته من النواحي التالية:**
- أنه وسيلة التحرر من الجهل والخرافة والوهم، فالعلم يطارد هذه الآفات كما يطارد النور الظلام، ولا يمكن أن يستقيم حال إنسان من غير علم ينير له طريق حياته، ويهديه إلى الخير، كما أن المجتمع لا يمكن أن يستقر ويتطور إذا لم يعتمد على العلم النافع، ويأخذ بأسباب الحضارة والتطور.
- **أنه سبيل الخلوص من العبودية لغير الله تعالى، وطريق معرفة الله تعالى ومعرفة شرعه، وأداة إصلاح أمر الإنسان في الدنيا والآخرة؛ فإن التكليف مناط بالعقل، وهو وسيلة فهم الخطاب الشرعي وإدراك مراد الشارع ومقاصده.**
- **أنه أداة استعمال العقل والحواس للوصول إلى المعرفة، وأداة تدبر القرآن لإصلاح النفس، وأداة التفكير في ملكوت السموات والأرض لإدراك سنن الله تعالى، وأداة التعرف على أمور الدنيا عن طريق الملاحظة والتأمل لإصلاح حال الإنسان وبيئته .**
- **وإذا كان العلم المؤدي إلى معرفة الله تعالى ومعرفة شرعه يستند على الوحي فإن العلم الطبيعي والتجريبي يستند على البرهان واليقين، وقد أحيل الإنسان فيه إلى عقله واجتهاده ، لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (أنتم أعلم بشؤون دنياكم)**
- **وغاية ما يهدف إليه كما يقول (برتراند رسل) هو محاولة اكتشاف حقائق معينة عن العالم ومن ثم القوانين التي تصل الحقائق ببعضها بحيث يمكن التنبؤ بحوادث مستقبلية**
- **يتم هذا عن طريق الملاحظة والتفكير الذي يستند عليهما ،**
- **تأتي أهمية هذا العلم من ناحية قدرته على توظيف المعرفة لإنتاج وسائل الراحة والرفاه التي كانت مستحيلة ، أو ذات كلفة عالية في حقبة ما قبل هذا العلم**

● وحدة الدين والعلم :

- الإنسان بحاجة إلى الدين والعلم، فهما يهيئان له الحياة الكريمة؛
- كان من الضروري أن يكون الدين والعلم في صحبة مستمرة، وألفة دائمة، وأن يكون العلم وما يتوصل إليه من نتائج داعماً لحقائق الدين، ومصدقاً لما جاء به، وأن يكون الدين بمعتقداته وأحكامه وشرائعه شاحداً للعقول، ومُبَصِّراً للقلوب، وهادياً لها إلى منهج الحق المبين والنفع للناس أجمعين.
- إن الإنسان بحاجة إلى الدين والعلم لا يغييه أحدهما عن الآخر، فالعلم لا يغني عن الدين،
- خلافاً للدين الذي يزجر صاحبه عن ارتكاب الإثم، وإذا ارتكبه متعمداً جعله يشعر بالخطأ والندم، إنه لا شيء يقوم مقام الدين في إقامة الوازع القوي الليقظ الذي يقوم دائماً بين الإنسان وبين نوازع السوء والضلال،
- أن الإيمان يمازج العقل، وقيمه دليلاً هادياً إليه، بحيث لا يبقى أثر لتوهم أن الإيمان على الدوام تسليم بما يأباه العقل،
- أن العقل وظيفته القبول المحض؛ فليس له حق الحكم على أدلة الدين، واستتباط الأحكام من مظانها بحسب قدرته من الفهم والإدراك .
- إن ثمة أمر آخر لا بد منه لتحقيق الانسجام التام بين الدين والعلم وهو صحة الجانبين؛
- جانب الدين بحيث يكون قائماً على مصدر موثوق، خالياً من الهوى والخرافة والباطل
- وجانب العلم بحيث يكون قائماً على دليل صحيح من النقل أو العقل سالم من الظن والتخمين والكذب ،
- كان من فضائل الإسلام التي تميز بها بين الأديان أنه ارتكز على العلم، وحث أتباعه على البحث عن حقائقه، وفتح لهم أبواب التفكير في هذا الخلق الواسع المليء بالسنن الكونية والقوانين العلمية،
- يقول العقاد: (فضيلة الإسلام الكبرى أنه يفتح للمسلمين أبواب المعرفة، ويحث على ولوجها والتقدم فيها، وقبول كل مستحدث من العلوم على تقدم الزمن، وتجدد أدوات الكشف ووسائل التعليم، وليست فضيلته الكبرى أنه يقعدهم عن الطلب، وينهاهم عن التوسع في البحث والنظر؛ لأنهم يعتقدون أنهم حاصلون على جميع العلوم)

- لقد دفع الإسلام الإنسان نحو التعرف على أسرار الكون ونواميسه، والتوسع في الكشف العلمية فكان في ذلك انتصار لقضية الدين؛ إذ لا خوف على الإسلام من البحث العلمي؛ فالحقيقة لا تخشى البحث،
- الإسلام على يقين من أن البحث العلمي السليم والتأمل السديد يوصلان إلى نفس النتائج التي يقررها

● كان هذا الاتجاه أيضا داعما لقوة الإنسان التي تزداد صلابة كلما استزاد من معين الإيمان بالله تعالى (فليس معدن الدين من معدن الضعف في الإنسان، وليس الإنسان المؤمن هو الواهي الهزيل، وربما كان الأصح والأولى في التقدير والتحقيق أن عظم العقيدة في الإنسان على قدر إحساسه بعظمة الكون والتدبر في أسرارهِ وخفاياه)

● الصراع بين الدين والعلم في أوروبا

- حدث صراع مرير في القرون الوسطى بين رجال الكنيسة الكاثوليكية في روما ورجال العلم التجريبي نتيجة أبحاثهم واكتشافاتهم التي بينت بطلان بعض الآراء في المسائل الفلكية والجغرافية التي أضفت الكنيسة عليها صفة الدين،
- جعلتها جزءا من النصوص المقدسة التي يمنع نقضها أو نقدها أو مناقشتها،
- ورأت أن في نتائج هذه الأبحاث والكشوف جرأة على الكنيسة التي كانت تمسك بزمام السلطة على كافة أصقاع أوروبا ، وهدما لتعاليمها ؛
- لذا نظرت إلى هذه الحركة العلمية القائمة على العقل بحذر وتوجس خوفا على سلطتها ومكانتها،
- الصراع ما لبث أن تفاقم بين الطرفين منعكسا سلبا على العلاقة بين الدين والعلم،
- قامت الكنيسة بهجمة شرسة على العلماء، فكفرتهم وبدعتهم واستحلت دماءهم، وأنشأت لمعاقتهم محاكم التفتيش..
- على سبيل المثال حكمت محكمة التفتيش في مدة لا تزيد على ثمانية عشر عاما من ١٤٨١م – ١٤٩٩م على عشرة آلاف ومائتين وعشرين شخصا بالحرق أحياء فأحرقوا ، وعلى ستة آلاف وثمانمائة وستين بالشنق فشنقوا، وعلى سبعة وتسعين ألفا وثلاثة وعشرين شخصا بعقوبات مختلفة فنفذت.
- من العلماء الذين اضطهدتهم الكنيسة (غاليلو) بسبب قوله بأن الأرض تدور حول الشمس، وأن هناك كواكب سيارة تزيد عن السبعة التي ذكرت في الكتب المقدسة، فقد

اعتبروا ذلك نوعاً من الإلحاد ، فسجن سنة ١٦١٥م بناء على حكم صدر من محكمة التفتيش في روما ، مما اضطره إلى التراجع عن آرائه، وأقسم على أن يعلن توبته وهو جاث على ركبتيه أمام (البابا أوربان الثاني) قائلاً: ألعن واحتقر خطأ القول وهرطقة الاعتقاد بأن الأرض تدور.

- أفلت (كوبرنيكس) من قبضة الكنيسة بتدارك الموت له عقوبة على قوله بكروية الأرض، وطاردت الكنيسة (برونو) لتقريره كروية الأرض ودورانها إلا أنه قبض عليه بالبندقية، وسجن بروما ، ثم حرق حياً
- ومن أهم الأسباب التي أدت إلى هذا الصراع وهذه العداوة بين رجال الدين والعلم في أوروبا ما يلي:

- تعسف الكنيسة وتسلطها على رجال العلم والفكر:
- تبني الكنيسة لبعض النظريات الفلكية والآراء الجغرافية:
- تغنت الطرفين في التمسك بآرائهما:
- اختلاف المنهج العلمي عن الدين السائد في أوروبا:
- إن حقيقة هذا الصراع لم تكن بين الدين بصبغته الإلهية النقية ،
- وإنما بصبغته المحرفة التي كانت عليها النصرانية في تلك الفترة من الزمن،
- أن ما حققه العلم من انتصار كان في المواقع التي انتصر فيها العقل واليقين على الخرافة والوهم،

● موقف الإسلام من العلم

- الإسلام هو دين العلم، فقد كانت أول آيات كتابه الكريم نزولاً هي أمر بالقراءة، قال تعالى: (اقرأ باسم ربك الذي خلق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم)
- كما أن الله تعالى أقسم فيه بالقلم تعظيماً له، قال تعالى: (ن والقلم وما يسطرون)
- في هذا دلالة عظيمة على احتفاء الإسلام بالقراءة والكتابة لما لهما من أهمية بالغة في تقييد العلم والمعرفة وضبطهما
- كما أن الله رفع درجات العلماء تقديرًا لمكانتهم، وتعظيماً لشأنهم؛ يقول سبحانه: (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات)

- وما ذاك إلا لكون العلم نعمة إلهية يخصص الله بها من يشاء من عباده، قال تعالى: (ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا) وقال الرسول صلى الله عليه وسلم: (العلماء ورثة الأنبياء)

- مصدر العلم هو الله تعالى، قال تعالى: (الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان) وقال تعالى: (وعلم آدم الأسماء كلها) وقال تعالى: (وفوق كل ذي علم عليم) وقال تعالى: (وعلم الإنسان ما لم يعلم)
- إلا أن طريق الإنسان إلى هذا العلم بحسبه، فصنف منه يصل إليه عن طريق الوحي، وهو ما دل عليه قوله تعالى: (وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم) وقوله تعالى: (وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك)
- والصنف الآخر يصل إليه عن طريق العقل بالتفكير والملاحظة والتأمل والرصد والتجربة والسير في الأرض والنظر في خلق الله للبحث عن سننه الكونية، قال تعالى: (فاعتبروا يا أولي الأبصار)، وقال تعالى: (وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون).
- والعلم الصحيح هو ما كان مبنيا على مصادر صحيحة أو تفكير صحيح أو تجارب ثابتة بعيدا عن الجهل والظن والكذب، قال تعالى: (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم) وقال تعالى: (ولا تقف ما ليس لك به علم) و قال تعالى: (قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين)
- وعموما فإن العلم في الإسلام فريضة واجبة، يتقرب بها إلى الله تعالى، وطريق من طرق العبادة يوصل إلى الجنة، قال صلى الله عليه وسلم (طلب العلم فريضة على كل مسلم)
- وقال صلى الله عليه وسلم (من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم)

- وبناء على هذا الحكم اعتنى علماء المسلمين بعلوم الدين بيانا وتوضيحا واستنباطا مستنديين في فهمهم على كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، واشتغلوا بها بحثا ودراسة وتعليما،
- فأنشأوا المدارس، وأقاموا حوانيت الوراقين التي كانت أسواقا للعلماء ومناظراتهم، وشيدوا المكتبات لخدمة العلم، وتيسير الاطلاع على ما ألف من علوم.

- لم يكن الاهتمام مقصورا على علوم الدين بل شمل العلوم التي تعتمد على الحس والتجريب، فإن الحس والتجربة يعدان أساسين لهذا الصنف من العلوم ؛
- أكد ابن حزم في كتابه (التقريب في حدود المنطق) أن الحس أصل من أصول العلم،
- أن ابن تيمية بين في كتابه نقد المنطق أن الاستقراء هو الطريقة الوحيدة الموصلة إلى اليقين

- فالمنهج التجريبي وليد الفكر الإسلامي وليس من ابتكار الفكر الغربي،
- يقول (بريفولت) في كتابه (بناء الإنسانية): (ليس لروجر بيكون ولا لسميه الذي جاء بعده الحق في أن ينسب إليهما الفضل في ابتكار المنهج التجريبي، فلم يكن روجر بيكون إلا رسولا من رسل العلم والمنهج الإسلاميين إلى أوروبا المسيحية)
- كان من مظاهر الاعتماد على الحس والتجريب في العلم الطبيعي عناية علماء المسلمين بعلم الفلك ومعرفة طوالع النجوم، وذلك لمعرفة منازل الهلال وأوقات الصلاة والصيام والحج ،
- لهذا الغرض أنشئت المدرسة الفلكية ببغداد، ويعد (البتاني) أحد عشرين عالما فلكيا في العالم،

- ألف البيروني كتاب (الاستيعاب في وضع الاسطرلاب)،
- استطاع المسلمون دراسة حركة الشمس وانحرافها،
- ومعرفة الانحراف القمري الثالث الذي عد اكتشافا جديدا،
- اعتنى علماء المسلمين بالرحلات الجغرافية،
- كتبوا عن المسالك وطرق القوافل والبريد، ووصفوا الجبال والبحار والأنهار ،

- رسم (الأدريسي) خريطة اشتملت على أماكن لم تعرف إلا من قريب .
- كما اهتم علماء المسلمين بعلوم الرياضيات فكان (الخوارزمي) أول من ألف في علم الجبر، له كتاب (الجبر والمقابلة)،
- ألف ابن الهيثم كتاب (تربيع الدائرة) وكتاب (الأشكال الهلالية)،
- ألف البيروني كتاب (استخراج الأوطار)،
- في علم الفيزياء وضع (ابن الهيثم) كتابه (البصريات) الذي أسسه على دراسة تجريبية،
- وفي علم الكيمياء كان المسلمون أول من استعمل طرق التصعيد والتبلور والتذويب

والتصفية لاستخراج المواد أو مزجها، ● وأول من صنع المراهم والدهانات، وأول من حضر الحوامض مثل تحضير زيت الزاج (حامض الكبريتيك)،
● في علم الطب بلغ علماء المسلمين درجة من التفوق والريادة، فقد بقيت كتبهم تدرس في جامعات الغرب إلى عهد قريب، ومن مشاهير أطباء المسلمين (الرازي) وله كتاب (الحاوي) تحدث فيه عن صناعة الطب، ● من عباقرة الطب (ابن سينا) الذي ألف كتاب (القانون) الذي كان محط إعجاب في جميع الأوساط العلمية إلى اليوم، ● ترجم إلى عدة لغات، ومن الأطباء المشهورين: (جابر بن حيان) و(الزهرابي) و(ابن النفيس) وغيرهم، ● برز المسلمون كذلك في علم الصيدلة، فقاموا بفن المستحضرات كتحضير الأشرطة واللحوق واللزقات، ● ألف (ابن جزلة) كتاب (منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان) جمع فيه أسماء الحشائش والعقاقير...
● إن انجازات علماء المسلمين في العلوم التجريبية لا يمكن حصرها؛ ● تمكنوا من تطوير العلوم التي ورثوها من الأمم الأخرى كعلوم الفلك والطب؛ ● بل أنهم ابتكروا علوما جديدة كعلمي الجبر والكيمياء، ● اعترف لهم بهذا الفضل علماء أوروبا الذين لا يزالون يكتشفون من كنوز علومهم وأسرار معارفهم ما يستفيدون منه في تحسين أمورهم وزيادة معرفتهم ● <u>فهذا (داربر) في كتابه (التنازع بين العلم والدين) يشيد بعلماء المسلمين وأنهم كانوا متبعين في أبحاثهم الأسلوب العملي التجريبي بعد أن تحققوا من أن الأسلوب العقلي النظري لا يؤدي إلى التقدم،</u> ● وأن الوصول إلى الحقيقة في هذه العلوم لا يكون إلا بمشاهدة الحوادث ذاتها ؛ ● لذا كان شعارهم في أبحاثهم الأسلوب التجريبي والعمل الحسي
● إن هذا المنهج هو الذي قاد المسلمين لأن يكونوا أول واضعي علم الكيمياء ● وأول من اكتشف آلات التقطير والتصعيد والإسالة والتصفية الخ ، ● وهو الذي جعلهم يستعملون في أبحاثهم الفلكية الآلات المدرجة والسطوح المعلمة

- والاسطرلابات (آلات قياس أبعاد الكواكب)،
- وبعثهم على استخدام الميزان في العلوم الكيميائية الخ،
- وهو الذي جعلهم يترقون في الهندسة وحساب المثلثات،
- وهمّ بهم لاكتشاف علم الجبر، ودعاهم لاستعمال الأرقام الحسابية الهندية،
- كان لنتائج هذه العلوم أثر جلي في تطوير فنون الزراعة في أساليب الري والتسميد وتربية الحيوانات وإدخال زراعة الأرز والسكر والبن،
- وانتشار المعامل والصنائع كنسج الصوف والحريز والقطن وإذابة المعادن وسبكها وتهذيبها.